مِنْ شُبّاكِ غُرْفَتي

تأليف: لمى الزين

رسم: مهى شاهين

مِنْ شُبّاكِ غُرْفَتي أَرى مَدْرَسَةً على شَكْلِ بَيْتٍ صَغيرٍ
مَعَ قِرْميدٍ، تُزَيِّنُهُ شَجَرَةٌ أَفْرَحُ بِالنَّظَرِ إِلَيْها كُلَّ يَوْمٍ.

تَدْخُلُ الشَّمْسُ كُلَّ صَباحٍ مِنْ دونِ إِذْنٍ ، فَيَعْكِسُ نورُها لَوْنَ السِّتارَةِ البُرْتُقالِيَّةِ الّتي تُزَيِّنُ الشُّبّاكَ، فَأَفْتَحُ نِصْفَها وَأَنْظُرُ إِلى السَّماءِ وَأُقَرِّرُ حَسْبَ زُرْقَتِها الرّائِعَةِ أَوْ غُيومِها المُتَلَبِّدَةِ ما يُمْكِنُ أَنْ أَرْتَدِيَهُ ذاكَ النَّهارَ.

في عَصْرِ ذاتِ يَوْمٍ وَأَنا عائِدَةٌ إِلى البَيْتِ، رَأَيْتُ عُمّالاً
يَقومونَ بِتَكْسيرِ جُدْرانِ المَدْرَسَةِ!
لَمْ أَفْهَمْ ما الَّذي يَجْري! هَلْ يَقومونَ بِتَرْميمِها؟

ثُمَّ سَمِعْتُ أَحَدَ الجيرانِ يَقولُ: «إِنَّهُمْ يُهَدِّمونَ المَدْرَسَةَ
وَيَبْنونَ عِمارَةً مِنْ ثَلاثَةَ عَشَرَ طابِقاً.»
فَوَقَفْتُ مَكاني غَيْرَ مُصَدِّقَةٍ وَأَرَدْتُ أَنْ أَصْرُخَ:
«لا! لا! لا!»

ثُمَّ حَضَرْتُ حَزينَةً، يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ، حَفَلاتِ تَكْسيرٍ حَتّى اخْتَفى المَبْنى بِكامِلِهِ وَأَصْبَحَ فُسْحَةً كَبيرَةً أَرى مِنْ خِلالِها بَعْضَ بِناياتِ الحَيِّ الَّتي كانَتْ تَحْجُبُها المَدْرَسَةُ.

كَمْ بَدا الحَيُّ مُوْحِشاً وَغَريباً! كَما أَنَّ العُمّالَ حَوَّلوا حَيَّنا إلى جَحيمٍ مِنْ ضَجيجٍ وَرَجيجٍ وَغُبارٍ.

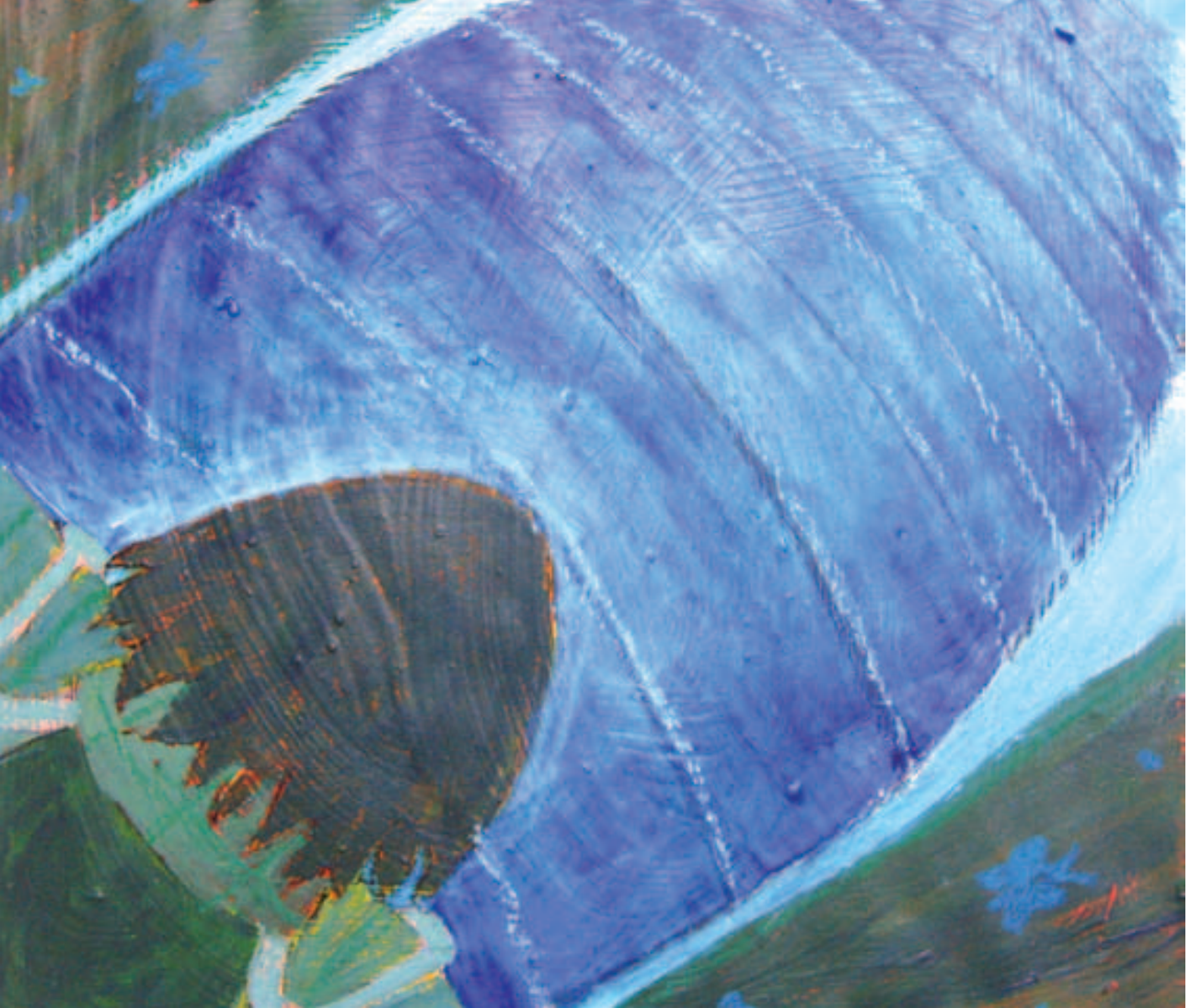

بَدَأَتِ العِمارَةُ بَعْدَها تَصْعَدُ شَيْئاً فَشَيْئاً حَتّى عَلَتْ عن الطابِقِ الأَوَّلِ حَيْثُ نَسْكُنُ، لَقَدْ حَجَبوا النّورَ وتابَعوا حَتّى وَصَلوا إلى الطّابِقِ الثالِثَ عشرَ!

يا رَبّي!! لَمْ أَعُدْ أَقْدِرُ أَنْ أَرى السَّماءَ... إلا قَليلاً قَليلاً مِنْ بَيْنِ البِناياتِ.

شَعَرْتُ كَما لَوْ أَنَّ المَبانِيَ كُلَّها قَدِ اتَّفَقَتْ على مَنْعِ النّورِ عَنْ شُبّاكي وَبَيْتي وَخَطَفَتِ الهَواءَ في طَرِيقِها.

أَقْفَلْتُ سِتارَتي وَجَلَسْتُ عَلَى سَريري أُفَكِّرُ بِما أَسْتَطيعُ أَنْ أَفْعَلَهُ... لا! لَنْ أَتْرُكَهُمْ يُدَمِّرونَ البُيوتَ الجَميلَةَ!

سَأَطْلُبُ مِنْ أُمّي أَنْ تَأْخُذَ مَوْعِداً مِنَ المَسْؤولِ الكَبيرِ.
سَآخُذُ مَعي أُخْتي الصَّغيرَةَ، فَهِيَ أَيْضاً اِنْزَعَجَتْ. لم
أَعْرِفْ بِماذا أُجيبُها عِنْدَما سَأَلَتْني «أَيْنَ ذَهَبَ الأَوْلادُ
وَأَيْنَ يَدْرسونَ؟!» رُبَّما يَعْرِفُ المَسْؤولُ ذلِكَ! سَنَسْأَلُهُ!
آهْ عَرَفْتُ! سَأَرْسُمُ البَيْتَ الّذي كانَ بِأَلْوانِهِ وَقِرْميدِهِ
وَشَبابيكِهِ، فَأَنا أَرْسُمُ جَيِّداً، رُبَّما عِنْدَما يَراهُ يُحِبُّهُ

وَيُساعِدُني في المُحافَظَةِ على البُيوتِ الجَميلَةِ الباقِيَةِ الَّتي
تُزَيِّنُ المدينَةَ.